الفكر الديني والفلسفي عند بعض الفلاسفة

المبروك علي ابوالقاسم عبدالله
كلية الآداب الجميل / جامعة صبراتة
W11ryoadgjl@gmai.com

ملخص البحث:

لقد كان للدين والفلسفة دور كبير ومهم في حياة الانسان بصورة عامة ومساعدتهم في تفسير وادراك الطبيعة الاجتماعية والظواهر الكونية ، وكانت الفلسفة الوسيلة العقلانية لتفسير معاني الخلق والحياة وقوى ما خلف الطبيعة ، والدين الجانب الروحي للإنسان واكد للناس على عقيدتهم وشريعتهم واخلاقهم الذي وجب على الانسان الالتزام بها ، الفلسفة والدين لا يختلفان وليس هناك اي تصادم بينهم ولكن الخلاف والتصادم بين رجال الدين والفلاسفة ، عندما بدأ رجال الدين بالسيطرة من خلال الدين والكنيسة والسلطان والمشايخ على الدولة وابعاد الفلاسفة وتجريمهم وتكفيرهم ، اتفق اغلب الفلاسفة ان الدين والفلسفة لهما دور كبير في مسار حياة الانسان وتحديد اتجاهها , والدين والفلسفة موجودات من الازل اي من وجود الانسان .

Abstract:

Religion and philosophy have played a large and important role in human life in general and in helping them explain and understand social nature and cosmic phenomena. Philosophy was the rational means of interpreting the meanings of creation, life, and forces beyond nature. Religion is the spiritual side of man and affirms to people their faith, law, and morals, which man must adhere to. Philosophy and religion do not differ, and there is no clash between them, but the dispute and clash between the clergy and the philosophers, when the clergy began to control the state through religion, the church, the Sultan, and the sheikhs, and to deport the philosophers, criminalize them, and excommunicate them. Most philosophers agreed that religion and philosophy have a major role in the course of human life and determining its direction. Religion and philosophy exist from eternity, that is, from the existence of man.

المقدمة:

توكلت على الله في بداية هذا البحث ساحاول طرح الفكر الديني والفلسفي لبعض الفلاسفة لمعرفة مدى تقاربهم في الافكار والمعتقدات وما مدى اختلافهم وما تأثير ذلك على الامم والشعوب خاصة وعامة، لكل فيلسوف اونقل لكل مفكر اجتهد بما استطاع وبما كان مناسبا له في عصره لان اختلاف العصور والازمنه كان له الدور الاكبر في تلك اللاراء والمعتقدات، لأنها كانت اسيرة عصرها، وعندما نبدأ بحث مثل هذا وجب علينا معرفة – ماهية العلاقة بين الدين والفلسفة؟ وماهي آراء الفلاسفة والمفكرين؟ وما الحلول إذا كان هنك إشكالية بينهم؟ فالدين هو ذلك اللفظ الساحر الذي ما إن يسمعه أي إنسان حتى يهتز وجدانه ، انه جوهر الحضارات الانسانية عبر العصور وإن علا شأنه في بعض العصور والحضارات وابتعد عن الصورة في بعضها الاخر ، ومع ذلك يظل الدين أحد المنجزات البشرية التي تضافرت فيها الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي قديمة بِقَدَم الازل ، وأن الدين قديم قِدَم الانسان ، وحين نأتي إلى الفلسفة نقول إنها نمط من أنماط التفكير الغقلي لدى الإنسان ، ومن ثَم أيضا هي قديمة بقدم الانسان رغم مايقال على أنها نشأت كَعِلْمٍ دقيق في القرن السادس قبل الميلاد في بلاد اليونان . فالإنسان الذي امتاز بالعقل من بداية وجوده على وجه هذة الارض كان لابد أن يفكر فيما حوله من ظواهر الطبيعة والوجود، ويتسائل عن أصلها وعلاقته كِنسان بها، ومن خلال هذه الاسئلة نشأ الدين والعقيدة الدينية المقدسة، في ذات الوقت الذي ظهرت فيه الفلسفة كتفكير نظري مجرد حول هذه الظواهر، ومن هنا فإن الخبرتين الدين والفلسفة قديمتان قدم الانسان ذاته، (أ.د. مصطفى النشار، مدخل جديد الى فلسفة الدين، ط2، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2015، ص 17 – 49). (1) فالدين والفلسفة منذ الخليقة البشريه ، كان لهم دور مهم في حياة الانسان لادراك ما لم يتم تفسيره من الظواهر الكونية والطبيعية والاجتماعية ، لقد استطاع الدين والفلسفة الاجابة على الاسئلة التي تدور في ذهن الانسان القديم، وكانت الفلسفة الوسيلة العقلانية لتفسير معاني الخلق والحياة وقوى ماخلف الطبيعة، ولكن عندما تحول الدين الى وسيلة للسيطرة على الشعوب من قبل الفقيه والسلطان والكنيسة والقصر، وقع صدام بين الفلاسفة ورجال الدين، لا بين الفلسفة والدين، اذ وجدوا رجال الدين أن الفلاسفة سيكشفون خداعهم، وسيحررون الانسان من قيود الوهم التي كبلوهم بها ، فتم اظطهاد الفلاسفة من قبل السلطات السياسية والدينية .

افلاطون 407 قبل الميلاد

وعندما نأتي إلى المفكر والفيلسوف افلاطون تجد العديد من الافكار والاراء والمعتقدات الدينية والفلسفية المتنوعة فلقد عرف افلاطون فلسفته المثالية، بأنها الرغبة والسعي الدائم وراء المعرفة الشاملة التي تتخذ من العقل وسيلة أولى لها، والتي تجعل من الحقيقة اسمى اهدافها وغاياتها، ولقد ابتكر افلاطون الحوار الفلسفي او بما يعرف بدراما فلسفية كاملة المشاهد، فقد كان لها دور كبير في نشر فلسفة افلاطون لان عبر من خلالها عن كل الافكار التي تدور في عقله ولقد أوضح في هذه المحاورات كل المُثُل والمبادئ التي بنى عليها فلسفته، التي قسمت العالم الى قسمين عالم المثل وعالم الحواس.

إن افكار افلاطون التي جاءت ضمن سياق ديني قد أثَّرت على انثولوجيا مختلف المعتقدات من خلال التاثير والإبداع والتعبير في حواراته الناقلة للنظريات، وهناك من الفلاسفة من يصف افلاطون بأنه مخترع للفلسفة، وهناك من يؤكد أن السمات العامة لتقاليد الفلسفة الاوربية هي انها تتالف من سلسلة من هوامش افلاطون، وهنا يبرز حجم التاثير الكبير على الفلسفة الدينية (حاتم حميد محسن، افكار افلاطون الاساسية حول الدين، شبكة النبأ، 2023/10/22، (2) (https://m.annabaa.org

ونجد في اليونان القديم واثناء وجود افلاطون لقد جرى للدين تنظير لا عقلاني ليكون مسؤلا عن أفعال الطبيعة غير الواضحة، ضرورة خدمة الالهة وتقديم القرابين الى جانب العقائد الاخرى، افلاطون نظر في سبب وجودنا وطبيعة الواقع وفكرة الروح، وهو السبب في قيام اليونان القديم ببناء المعابد وتقديم النذور للالهة وانه السبب في قيام المسيحيين اليوم بالصلاة ومحاولة الاتصال بالله، يشير افلاطون في (القوانين) ان الاشياء في الكون تتحرك وتتغير، غير ان الحركة اوالتغيير في شيء ما ينشأ بفعل حركة او تغيير في شيء اخر يؤثر عليه، ولكي ننهي هذه السلسلة ، نتصور ان الحركة اوالتغيير انما ينشأ من محرك ذاتي اصلي، ويعتقد ان هذا المحرك يجب ان يكون مصدرا للتغيير بكل ماحدث ويحدث ، ونظر بحذر في مشكلة الشر في توضيح الاله، بان الخالق هو عظيم لكنه ليس رحيما، وفق طبيعة الله هذه فان الشر اذا كان موجود فهو لا يستطيع امتلاك كل العظمة والرحمة " دور الله محدود ببدء العملية التطورية " وهناك راي له يؤكد بانه يجب ان يكون هناك مقياس للخير

او مستوى للخير غير معتمد على الله، وهذا أصبح الاساس لمعظم افكار افلاطون الاساسية المتطابقة مع فكرته مع الروح، ويعتبر افلاطون احاسيسنا الجسمية غير تامة ولذلك ليست مطلعة تماما على الافكار التامة التي تترجمها الاشكال ، ويعتبر افلاطون ان الروح هي هوية كل فرد منا لان الروح يحب ان تنفصل عن الجسد اذا اريد لاي شيء يتبقى منا لان الجسم المادي لن يبقى بعد الموت. (حاتم حميد محسن ، افكار افلاطون الاساسية حول الدين ، شبكة النبأ ، 2023/10/22 ، https://m.annabaa.org) (2)

وعندما نتكلم على افلاطون اول ما نطرحه كيف عرف افلاطون فلسفته " لقد عرف افلاطون فلسفتة المثالية بأنها الرغبة والسعي الدائم وراء المعرفة الشاملة التي تتخذ من العقل وسيلة اولى لها والتي تجعل من الحقيقة اسمى اهدافها وغاياتها ". (محمد مناصير ، شرح فلسفة افلاطون ، مجلة علم الفلسفة ، 2023/10/22 ، https://alfalsafah.com) (3) وتعتبر المحاورات الافلاطونية تجسيدا لما يتفاعل في اعماق الفيلسوف من انفعالات عقلانية ، هدفها توعية النفوس الانسانية الباحثة عن الحقيقة ، والادراك العقلاني الفعال ، الذي ينقل النفوس من القوة الى الفعل ، ويصور الاحاسيس والمشاعر ادق تصوير ينسجم مع اهداف المحاورة ومنطلقها الدرامي والنقاش بالاضافة الى الشروحات العميقة التي تمهد للقاري الفهم والوعي (افلاطون ، جمهورية افلاطون ، ترجمة حنا خباز ، الناشر دار المقطم للنشر والتوزيع ، ص 533) (4) هذه كانت بعض من اراء وافكار الفلاسفة والمفكرين في الدين والفلسفة وما كان لها من دور في بعض الحضارات وماكان لها من دور في التاثير على بعضها البعض وما كان من اتفاق بعضهم مع بعض واختلفت البعض الخر .

ارسطو او ارسطوطاليس 384 قبل الميلاد

وعندما ناتي الى الفيلسوف الكبير وأبرز عمالقة الفكر الفلسفي الإغريقي والكبير في مكانته الفلسفية في عصره وبعد عصره ولما كان له دور كبير في التاثير على مجموعه كبيره من الفلاسفة والمفكرين الذين عاصروه او اتوا بعده، وكان ارسطو احد تلاميذ افلاطون وقد رافقه لفتره، ولكن بعد وفاة افلاطون اختلف عليه من حيث الطريقة والمنهج، حيث أن أسلوب افلاطون استنتاجي لمبادئ استدلاليه، ولكن كان اسلوب ارسطوا استقرائيا واستنتاجيا.

نجد ان فلسفة ارسطو أُسِّسَت على عالم الواقع الحسي، وركزت فلسفة ارسطو على الواقع وعلى الانسان ونظر إلى أن الطبيعة نظرة علمية عميقة متأملة لكل شيء وسار فيها بمنطق تدريجي متسلسل مترابط، وهدف ارسطو من فلسفته الى ان تكون فلسفة عالمية وقد وجد هذه العالمية في امور معينة، وصفها بانها جوهر الاشياء.

ونجد ان ارسطوا قد غير من طريقته على معلمه افلاطون، وتنطوي طريقة ارسطوا الفلسفية على الصعود من دراسة الظواهر الخاصة لمعرفة الجواهر في حين ان معلمه افلاطون طريقته الفلسفية تعنى بالهبوط من معرفة نماذج عالمية الى التامل في تقليد معين، ومن هنا نجد ان اسلوب ارسطوا يظهر جليا على انه استقرائي واستنتاجي، ويعتبر ارسطو من اهم الفلاسفة الذين وضعوا الاسس الولى للفلسفة الغربيه . (بشرى زكاغ ، فكرة الاله عند ارسطو وامتدادها في الثقافة الغربية ، مؤمنون بلا حدود ، 2023/10/21 ، www.mominoun.com) . (5)

ويؤكد ارسطو في بحثه على العلم الالهي في نظريته مايعرف ب"الهيراركية" اي بمعنى التصاعدي " فالكون حسب ارسطوا مرتب من الجماد الى النبات الى الحيوان الى الانسان، ومن الانسان الى الاجرام السماوية الى الالهة، ومعنى هذا في فلسفة ارسطوا ان الكون منظم بطريقة تصاعدية دقيقة، وقد مكنتة نضرته التصاعدية هذه الى من قاعدتة الشهيره " (بشرى زكاغ، فكرة الاله عند ارسطو وامتدادها في الثقافة الغربية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2023/10/21، www.mominoun.com) . (5)

ويقول ارسطوا في قاعدته الشهيرة " ان الطبيعة لا تفعل شيا باطلا " ومعنى ذلك يشرح ارسطو نستطيع ان نقول اننا نجد انفسنا باستمرار في العالمين معا، عالم الطبيعة وعالم الفن . امام ترتيب نجد فيه ان ما هو ادنى موجود لصالح ما هو اعلى، وما هو اعلى انما يكون كذلك لسبب ما فيه مبدا عقلي. (امام عبدالفتاح امام، ارسطوا والمراة، سلسلة الفيلسوف والمراة، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع، ط1، مصر 1996، ص 29) (6) ونجد ان ارسطوا في ما اكد عليه ان الاله عنده ليس الخالق لهذا الكون فقط بل المتحكم في حركته، فكل الاشياء تتحرك في زمن معين وبارادة واحدة، فان الذي يحركها هو المحرك الاول. ان الاله عند ارسطو محرك ولا يتحرك ، فان المحرك سواء كان شخصا او شيئا او فكره ، يحرك شيئا ويحركه شيء ، فالمحراث يحرك التربة واليد تحرك المحراث

والعقل يحرك اليد وغريزة حب الحياة تحرك الرغبة في تناول الطعام والشراب ، ولكن الاله عند ارسطو لا يمكن ان يكون نتيجة لاي عمل بل هو مصدر كل عمل انه محرك العالم الذي لا يتحرك ،ويقول في هذا الطرح " ينبغي ان تنتهي سلسلة المتحركات الى محرك اول لا يتحرك وهو اصل الحركة بجميع اشكالها في الكون (ماجد فخري ،ارسطو المعلم الاول ، سلسلة قادة الفكر ، المطبعة الكاثوليكية – بيروت ، ص94) . (7)

ان اليونان في السابق كانو يعتقدون بتعدد الالهة، وان هذه الالهة خالدة وكانت الاساطير والخرافات القديمة تحكي عن ميلاد معظم الالهة، وعن الصراعات وتخديد النفوذ لكل الهة، وتحكي كل الاساطير ان كل الالهة وفي اساسها تحرج على هيئة الانسان وكل الهة تحكم في ظاهرة من ظواهر الطبيعة. واعتبر ارسطوا في نظر بعض من المؤرخين ان مشرك، لانه لم يخلص الى وحدانية الاله اخلاصا تاما، على الرغم من تاكيده على وحدانية الاله كونه محركا للعالم وخالقه، في موضع الا انه لا يلبث ان يضيف اليه حركة الاجرام السماوية بوصفها جواهر ، قياسا لها على المحرك الاول في موضع ثاني، دون ان يشوب برهانه تناقض مؤكدا في ان المسائل جدلية (بشرى زكاغ ، فكرة الاله عند ارسطو وامتدادها في الثقافة الغربية ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، 2023/10/21 ، www.mominoun.com) . (5)

ويقول ارسطوان المسائل تحتمل قولين " ان قدم العالم والحركة من المسائل الجدلية التي تحتمل قولين " (ابن رشد، تلخيص كتاب الجدل، ترجمة د تشارلس بتروث ، د احمد عبد المجيد هريدي ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط1 ، 1979 ، ص22) . (8)

افلوطين 502 ميلادي

وعندما نبدا الحديث عن الفلسفة، فنجد ان " افلوطين " ابرز فلاسفة العهد القديم من حيث الطابع الديني الذي تتخذه فلسفته، وقد تعرفوا الفلاسفة المسيحيون بسرعة الى هذا الطابع الديني في فلسفة افلوطين، وكان يسعى افلوطين الى الخلاص، ولكنه اتخذ من العقل وسيله لتحقيق ذلك الهدف، واعترف بان العقل تابع وليس اساسي، وان العقل عبارة عن وسيله فقط الى الانتقال الى الواحد والى المتعالي.

"ويعرف مذهب افلوطين بانه تفسير الموجود بحسب مبدا الصدور وعلى اساس هذا المبدا نلاحظ ان ثمة تصورا مزدوجا للحقيقة أحدهما متعلق بالنفس. فالعلم عنده ينقسم الى مراكز طائرة واخرى دنسة تمر بها النفس خلال رحلتها اما صعودا او نزولا وعلى ذلك، فحياة النفس الداخلية مرتبطة اوثق الارتباط بالمقام الذي تستقر فيه ". (الشيخ كامل محمد محمد عويضه ، افلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1 ، 1993 ، ص5) (9)

ونجد ان افلوطين قد اكد على ان النشوة الاخيرة مفترضا نوعا من الفضل الالهي، وهذا هو ما يؤكد عليه، ويعتبره التجربة الدينية التي تتجاوزت العقل عند افلوطين، او تتجلى في اتحاد المنطق بالعقل، ومن خلال ذلك وما نظر من اشياء تؤكد على ان افلوطين نزعته عقلية صوفية، وتعتبر ان افلوطين وفلسفتة كانت من اكبر مظاهر الفلسفة في اواخر الفكر الفلسفي اليوناني، التي كانت نظرتها الى جوهر العقل وتصورت انها تستطيع ان تكون اعلى بمذهبها او تتعالا بمذهبها في الواحد الا متناهي فوق العقل نفسه، ولكن نجد انها كلما تعلت عن الاشياء وعن الحياة بالالوهية، وانجد انها تسموا اعن الفكر ايضا بالالوهية، هنا اعتقدة انها من الضرورة ان تصنع شي ترقى به مثل سلم من الكائنات المتوسطه بين الصور العليا للموجودات والصور الدنيا، وهذه الاشياء التي تاتي في الوسط بينهم او هذه المتوسطات هي ميدان لكل الاديان والاديان الشعبية ، والهتها القريبة لضعفنا الذي هو من صنع الانسان، واملنا بان ترفعنا الى الاله الاعلى، وهذا ما يوكد عليه افلوطين ويسوغه من وجه نظر العقل ، وجميع ميادين الدين من تقاليد وعبادات وخرافات وصلوات وقرابين هذه كلها اشيا لتوصلنا الى الاله الاعلى وتعتبر هذه كلها وسيط بين المحسوس والمعقول، وهي تلعب الدور الاساسي في توجيه الجميع الى الجوهر اللامادي الذي ليس كمثله شي (د. حسين علي، الفكر الديني عند اليونان، مجلة البوابة، اراء حرة، 2023/10/15،www.albawabhnews.com). (10)

الفرابي 870 ميلادي

وعندما نتجه الى فيلسوف مثل الفرابي يتوجب علينا التمعن في أفكاره وما جاء به من فلسفة ورأيه في الدين لان الفرابي كان ذكيًا جدا بعيد عن الدنيا بملذاتها ، طريقه طريق الحماء والفلاسفة وكان من الناس البسطاء الهادين همه الفلسفة وكان كثير التامل" ولا منزل ولا مكسب له وكان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني ، وكان يخرج الى الحراس بالليل يستضيء بمصابيحهم فيما

يقرؤه " (محمد لطفي جمعة ، تاريخ فلاسفة الاسلام ، الفصل الثاني الفرابي، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، ص34، 2023/10/21 www.hindawi.org) .(11)

ولقد انقسم حكما العرب في تلك الفتره وهي اواخر القرن الثالث للهجرة ، الي طائفتين كل طائفة لها تفكيرها ومعتقدها الخاص بها، الفرقة الاولى هي فرقة المتكلمين، التي كان تخصصها او بمعنى ادق تخصصت في الالهيات وما وراء الطبيعة ، وكانت هذه الفرقه قبل ان تنفصل على الفرقة الثانية تتبع فيثاغورس ، ثم تنحت عنه وعن اتباعه وتحولت الى اتباع ارسطو بعد ان البس تعاليمه ثوب مبادي افلاطون المستحدثة ،وكانت هذه الفرقة تبحث الاشياء في مبادئها وتتحرى المعنى والفكر والروح ، ولا تصف الله بالحكمة في الخلق او بالعلة الاولى، ولكن بانه واجب الوجود، وكانت تقدر الاشياء بوجودها، في اثبات ذلك اولا، وكان الفرابي رئيس هذه الفرقة وزعيمها والمقدم فيها واليه المرجع وعليه الاعتماد، كان له دور كبير في ضبط وتعيين وتخليص كتب ارسطوا من غيرها قبل ترجمتها وشرحها، وكان الفرابي في المبدأ الالهي او السبب الاول وهو فرد اي واحد لا يتعدى (محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الاسلام، الفصل الثاني الفرابي، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ص 35 – 36 2023/10/21، www.hindawi.org) (11)

ونجد في الالهيات عند الفرابي (" كل موجود اما ضروري او ممكن وليس لهم ثالث ، محي ان كل ممكن يستدعي فرض سبب لوجود ، وان سلسلة الاسباب لا يمكن ان تكون بغير نهاية ، فلا بد من الاعتقاد بوجود كائن موجود بطبيعته بغير سبب ، ومالك لاعلى درجات الكمال وممتلئ بالحقيقة الازلية ، ومكتف بذاته بلا تغيير ولا تبديل ، وهو بصفته عقلا مطلقا وخيرا خالصا وفكرا تاما يحب الخير والجمال (القول في واجب الوجود ص6 وما بعدها "المدينه الفاضلة ") ولا يمكن اقامة الدليل على وجود هذا الكائن لانه هو التصديق والبرهان، ولانه العلى الاولى لكل الاشياء، وفيه تجتمع الحقيقة والصدق ، ويلتقيان، ولانه اكمل الكائنات واحد فرد لا يتعدد وهذا الوجود الاول المتفرد الحقيقي الوجود هو " الله " ومن هذا الكائن الاول ينبعث مثاله او صورته " الكل الثاني " او الروح المخلوق الاول الذي يحرك الجرم السماوي الخارجي. (محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الاسلام، الفصل الثاني الفرابي ، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص 46، 2023/10/21 ، www.hindawi.org) (11)

ابن رشد 1126 ميلادي

ونجد في آراء ابن رشد وفكره وفلسفتة الدينية، عند التكلم على الدين والعقل او الدين والفلسفة نجد ان مسالة التوفيق بينهم قد شغلت العقل او الفكر الانساني من قديم الزمن، وان الكثير من المفكرين من مختلف العصور والديانات قد حاولو التوافق بين الدين والعقل.

ونجد في نظرية ابن رشد الخاصة عن علاقة الدين بالفلسفة في كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال " انه قدم نظرية خاصة في مسالة العلاقة بين الشريعة والحكمة، اي بين الدين والفلسفة وراء ان " الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه " واوضح في كتابه ان لا تعارض بين الدين والفلسفة اي (الشريعة والحكمة) ويفحص التوتر المزعوم بين الفلسفة والدين وان الفلسفة في الحقيقة على وجه الخصوص فلسفة ارسطو ليست معارضة بل في الواقع تعمل جنبا الى جنب مع الفلسفة الاسلامية. (القاضي ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد، كتاب فصل المقال وتقرير مابين الشريعة والحكمة من الاتصال، قدم له وعلق عليه الدكتور البير نصري نادر، ط2، دار المشرق المطبعة الكاثوليكية – بيروت لبنان، ص24 – 25 – 26) . (12)

" ونجد هذه المحاولات كثيرة عند فلاسفة اليهود والفلسفة اليونانية المسيحية " (محمود حمدي زقزوق ، الدين وفلسفة التنوير ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، ص49) (13) ونجد في الفكر الفلسفي الاسلامي ان بوادره كانت تعانق الدين والفلسفة ويتجاوران في عقول فلاسفة الاسلام وهنا وجب ان يكون هناك حوار او منطق اساسي ثابت ، خلف التقاء الحقيقة الفلسفية بالحقيقة الدينية ، او وجود خلفية دينية داعمة لهذا التوافق ، والهدف بين الدين والفلسفة عند المفكرين المسلمين وهذا المنطق الاساسي او الخلفية الدينية ، هو مايمكن ان نسميه بوحدة الحقيقة في الاسلام . (محمود حمدي زقزوق، الدين وفلسفة التنوير، دار المعارف القاهره ، ط1 ، ص50) (13)

يعتبر ابن رشد من اكبر الفلاسفة في العصور الوسطى في الشرق والغرب، وفلسفته عقلانية الطابع والمنهج في كل ماعرضه من مسائل الفلسفة وقضاياها، ويعتبر ابن رشد ان الدين الاسلامي حق والفلسفة حق والحقيقة لا يمكن ان تنقسم على نفسها، والدين يستهدف قبل اي شي حث الناس على عمل الفضيلة وتقريب الحقائق مع اختلافها في الاذهان، والوصول بها الى هذا الهدف، ولكن هدف الفلسفة معرفة الحقيقة. (محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الاسلام، الفصل الثاني، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهره، مصر، ص188، 2023/10/21، www.hindawi.org) (11)

وقال ابن رشد " كنا نعتقد معشر المسلمين ان شريعتنا هذه الالهية انها حق والتي دعت الى معرفة الله تعالى وبمخلوقاته ، وان طباع الناس متفاوتة في التصديق فمنهم من يصدق بالبرهان ومنهم من يصدق بالاقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان ، واذا كانت هذه الشريعة حقا وداعيا الي النظر المؤدي الى معرفة الحق، فانا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له، وان السبب في ورود الشرع ظاهر وباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق، وان الناس الذين لا يفهمون النصوص الا بالتخيل وليس بالبرهان ، انهم من صنف الناس الذي لا يقع لهم التصديق الا من قبل التخيل، اي لا يصدقون بالشي الا من جهة ما يتخيلونه ، وان الاقاويل المصرح بها في الكتاب العزيز للجميع لها خواص دلت على الاعجاز ، ومقصود الشرع تعليم العلم الحق والعمل الحق، وتتضخ الصلة بين الشريعة والحكمة في عقلي ونقلي اما العقلي وهو غرضهما واحد وهو معرفة الخالق والشريعة تؤكد على اعتبار المخلوقات اعتبارا عقليا وتنص على وجوب استعمال القياس العقلي والحكمة هي درس الموجودات بالقياس العقلي فليس من فرق بينهما في شي وانا الشريعة والحكمة تلتقيان في وحدة جوهرية من حيث انهما وجهان لحقيقة واحدة، واما النقلي هو ان الشريعة هي دراسة الصانع للعالم . (حسن عبدالرحمن علقم، الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد البطليوسي، دارالبشير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1988، ص184 – 185 – 186) (14)

ومثل قوله الله تعالى في سورة الاعراف الاية 184 { **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** } وهذه الآية الكريمة تنص او تاكد على النظر في جميع الموجودات والمخلوقات في الكون والحكمة من ذلك هو النظر الى هذه الموجودات ومن جهة دلالتها على الصانع او الخالق لها، لان الموجودات تدل على الصانع لهذه الموجودات، واما الدين فهو مجموعة من الحقائق اوحى بها الله الى الانبياء، وهذه الحقائق تقدم للانسان ما يمكن ان يعرفه عن الله ، وما يمكن ان يعرفه عن امور الشريعة .

ولعل هذا ما دفع ابن رشد الى القول " غاية الشريعة ليس تعريف الناس بالحقيقة في حد ذاتها ولذاتها، بل غاية الشريعة ايجاد الفضيلة، فصاحب الشريعة يقصد تعليم الجمهور بالقدر الذي تحصل سعادتهم "(نظمي لوقا، الحقيقة عند فلاسفة المسلمين، دار غريب للطباعة والنشر، ط1، 1985، ص 185) (15)

ولقد راء ابن رشد ان الدين والفلسفة كلاهما على حق والحق لا يضاد الحق، وان الدين يخاطب العامة والفلسفة تخاطب الخاصة، ويقول لا تعارض بين الدين والفلسفة، وان كان هناك اي تعارض فهو تعارض ظاهري، وواجب على الناس العامة ان تتمسك بالنص الحرفي للدين، لان ذلك يلائم عقولهم أ اما الفلاسفة فواجبهم تاويل النص الديني واستخلاص المعاني الفلسفية منه، شرط ان يكتموه على الناس العامة. وان جوهر تفسير ابن رشد الى ان الدين لا يمكن فهمه الا في ضوء الفلسفة، وهما رفيقان حميمان لا انفصال بينهما، لذلك هو الدين الروحاني العقلاني القيمي المستنير الحر، فالفلسفة حق والدين حق والحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد عليه. (عبدالحسين شعبان، عن الفلسفة والدين ، صحيفة الخليج ، 2023/10/21 ، www.alkhaleej.ae) . (16)

ابن خلدون 1332 ميلادي

ونجد ان ابن خلدون في بدايته ومكانة بالرغم مما كان عليه أو مما كان له من مكانة علمية وعدم اهتمام المفكرين في تلك الفترة به وعدم إعطائه ما كان يستحقه سواء من المفكرين الذين عاشوا في تلك الفترة أو من المفكرين الذين أتوا بعده نتيجة لانحلال الدولة الإسلامية وتدهورها ولكن بعد فترة من الزمن أصبح هناك اهتمام كبير بابن خلدون من قبل المفكرين المحدثين وأنه لم يستلهم أحد من السابقين ولا يدانيه أحد من المعاصرين، بل لم يثر قبس ألإلهام لدى تابعيه مع أنه في مقدمته للتاريخ العالمي قد تصور وصاغ فلسفة التاريخ ، وتعد بلا شك أعظم عمل من نوعه. (د احمد محمد صبحي، في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، ص- 133-134) (17)

وقال عنه جورج سارتون لم يكن ابن خلدون أعظم مؤرخي العصور الوسطى شامخا كعملاق بين قبيلة من الأقزام فحسب بل كان من أوائل فلاسفة التاريخ سابقا لمكيافلي وبودان وفيكووكنت و كورنو (د احمد محمد صبحي، في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، ص-134). (17)

وقال عنه نيكلسون لم يسبق ابن خلدون أحد إلى اكتشاف الأسباب الخفية للوقائع وإلى عرض الأسباب الخلقية والروحية التي تكمن خلف سطح الوقائع وإلى اكتشاف قوانين التقدم والتدهور (د احمد محمد صبحي،في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، ص-133) .(17)

وعند رجوعنا إلى فكر **ابن خلدون** ، نجد أن العامل الديني له دور كبير في نظريته ، والدعوة الإسلامية كان لها دور كبير في الأسس التي قلبت المفاهيم والمعتقدات الخاطئة التي كانت متواجدة

في المجتمعات ، ونجد أن لها دور كبير أيضاً في ثقافة المجتمعات ، وإدراك هذه المجتمعات الخطوات الحديثة التي أتت بها الدعوة الإسلامية ، والتي أدت إلى تحول المجتمع الجاهلي إلى مجتمع متحضر ، والانقسامات التي كانت بين القبائل أدت الدعوة الإسلامية إلى تلاشي تلك الأسباب ، مما ساعد القبائل على الالتحام وأدى هذا بالقبائل بعدما كانت متفرقة وكل له ما يخصه أن تنقلب من هذه الخصوصية إلى العمومية التي تتصف بها الأصول وتقضى على فعاليتها التي يفترض أن تكون عاملاً موحداً وجامعاً بين القبائل .

فقد كان الإيمان بإله واحد وبرسالة نبوية واحدة ، هي رسالة النبي إبراهيم ، وهو إيمان متقدم بالنسبة للظواهر الوثنية القديمة ، شائعاً متمكناً من أفئدة غالبية شرائح هذا المجتمع ،فضلاً عن أن الكعبة في مكة كانت محجة لجميع العرب ،بما هي معبد النبي إبراهيم ومحلا لتقديسهم ، وما يحيط بها كما تنطق بذلك أشعارهم ، فإن هذه الأشعار تحمل ما يفيد بأن الإيمان بإله واحد كان شائعا لدى عرب الجاهلية ، لكن فأغلبية هذا الإيمان نسخته كما سبقت الإشارة عليه التركيز على إقامة طقوس خاصة بكل قبيلة،حيث كانت القبلية تجسد فكرة الإله بصورة مقتبسة عن ظاهرة الوثنية(بالصنم) وقد كان لكل قبيلة صنم تضعه في الكعبة وتعتبره شفيعا لها في التقرب إلى الله. (د مصباح العملي، ابن خلدون وتفوق الفكر العربي على الفكر اليوناني باكتشافة حقائق الفلسفة، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ليبيا ،1988، ص125-126 -127) . (18)

(وباللات والعزة ومن دان دينها – وبالله إن الله منهن أكبر). (د عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت،1983، ص159) (19) وبالرغم من أن عدم فاعلية الإيمان كعامل توحيد بين القبائل بسبب تعدد الطقوس التي كانت تجسد استقلالية كل قبيلة وانغلاقها على ذاتها، إلا أن هذا الإيمان قد شكل أرض خصبة للحركات الدينية التي قامت بدور الإرهاصات للدعوة الإسلامية. (د حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفه العربية الاسلاميه، ج1، دار الفارابي، بيروت،1981، ص117). (20)

ونؤكد هنا على ما ذكر سابقا، أن الدين عنصر من العناصر أو من الأسس المهمة التي لها دور كبير في التقريب بين الناس ونبذ الخلافات بين أفراد الجماعة الواحدة، وهو يزيد من الترابط والتعاون، ونزيد على ذلك أنه عندما يكون الدين له هذا الدور فلابدَ بدوره أن يكون له تأثير على بناء الدولة بناءً صحيحاً، وعلى ذلك أيضاً انه يساعد على تهذيب العصبية وأبعاد الجوانب السلبية منها.

فالدين له دور كبير في بناء الحضارات الإنسانية، لأنه يجعل المجتمعات في حالة توافق ويزيد من تعاونها مما يؤدي إلى الرقي.

ونجد أن ابن خلدون يرى أيضاً أن الدين عاملً هامً في الارتباط والالتحام ونبذ الأحقاد، وله دور في توجيه الإنسان إلى الطريق الصحيحة والتعاون. (عبدالرحمن بدوي ، مؤلفات ابن خلدون، دار المعارف بمصر، 1962 ، ص23) . (21)

ولذلك فإن ابن خلدون يعتبر الدين عنصراً من عناصر الدولة حيث يقول: "وذلك لأن الملك إنما يحصل بالتغلب والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونةٍ من الله في إقامة دينه ". (ابن خلدون، المقدمة، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص 157) (22) ابن خلدون يؤكد أن العصبية أهم في هذا الشأن من الدين، وهي أولية، بمعنى إنها سابقة في التأليف بين الأفراد في تلاحمهم من الدين. (ابن خلدون، المقدمة، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص 159 – 160) (22) في هذا يؤكد الجابري على نفس المعنى فيقول إن علاقة العصبية داخل هذا الصنف من البدو لا يمكنها أن تتطور إلى عصبية عامة جامعة تستهويها الحضارة وسكن المدن وسلطة الملك وثمراته، إلا إذا تبدلت أحوالهم وتفتحت أمامهما آفاق جديدة ، أي لابد إذن لكي تجمع كلمة هؤلاء على المطالبة من عامل آخر يذهب عنهم الغلظة والتنافس والأنفة ، ونزعهم من التحاسد والتنافس هذا هو عامل الدين أو بمعنى أكثر دقة الدعوة الدينية.(محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، دار الطليعة ،ط3، 1982، ص286) .(23)

واتفق المحللون على أن للدين دور هام وأساس في بناء الدولة ونشر نفوذها والسبب في ذلك أن العصبية الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية، وتفرد الوجهة إلى الحق، فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء، لأن الوجهة واحده والمطلوب متساوي عندهم، وهم مستميتون عليه وأهل الدولة التي هم طالبوها وإن كانوا أضعافهم ، فأعراضهم متباينة بالباطل واتخاذ لهم تقيه الموت حاصل فلا يقاومونهم وإن كانوا كثر منهم ، بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء لما فيهم من الترف والذل، وهذا كما وقع للعرب صدر الإسلام في الفتوحات، فكانت جيوش المسلمين في القادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر وجموع فارس مائه وعشرين ألفا بالقادسية،

وجموع هرقل على ما قاله الوافدي أربعمائة ألف فلم يقف للعرب أحد من الجانبين وهزموهم وغلبوهم على ما بأيديهم (د اسحاق عبيد ، معرفة الماضى من هيرودوت الى توينبي، دار المعارف ،ط1، ص98).(24)

وفي معرض الحديث عن الدين ودوره في الحضارة يفرق ابن خلدون بين الدين الصحيح المرتكز على الوحي وغير الصحيح مشيرا في هذا فشرح الرؤيا والرسالة والنبوة والكهانة والعرافة وما اليها مميزا بين الأديان الصحيحة وغير الصحيحة ، ويذهب البعض الى أن ابن خلدون وحسب تفسيره إن كل مجتمع متأثر بدين من الأديان الوثنية أو اللاهية محاولا إظهار الدين ظاهره بشرية ناشئه عن استعداد الروح البشرية نفسه في أشخاص ممتازين للاتصال بالعالم الروحي ، وهذا الاتصال يؤدي إلى التنبؤ متأثرا في ذلك بالإشراق الاسكندري ، وبنظرية أفلاطون في المثل المفترضة وجود عالم روحاني ، وبالصوفية ، ويبين أن النبوة ليست ضرورية لإنشاء مجتمع وتأسيس حكومة . فيخالف بذلك آراء معظم المفكرين والفلاسفة المسلمين وعلماء الكلام ، وهؤلاء كانوا يزعمون أن الرسل يؤسسون الحكومات ويسنون الشرائع تنفيذا لإرادة الله ، وهو يرى من خلال التاريخ أن أهل الكتب لهؤلاء الوثنين دول وآثار ، فالنبوءة ليست ضرورية وإن كانت مفيدة تسير بالمجتمع نحو الكمال، فقد خطا ابن خلدون خطوة جريئة وكاد يجعل الدين ظاهرة اجتماعية لولا خوفه من رجال الدين. (عبده الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية واثار رجالها، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، ص721). (25)

فابن خلدون يرى في الدين العامل القوي المؤثر والمرتبط بحياة الإنسان الاجتماعية، ولهذا نراه يرفض الفلسفة لأنه فيما يرى تشكل خطراً على الشريعة والعقيدة الدينية، حيث يقول" فهذا العلم كما رأيته غير واف بمقاصدهم التي حوملوا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها".(ابن خلدون ، المقدمة ،منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص519) (22) ولقد ظهرت في الحقبة المتصلة بالإسلام جماعة أوجماعات شكلت ما أطلق عليه التاريخ اسم ظاهرة الحنفاء، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى دين إبراهيم الحنيف، والذي كانت تدعو فيه الناس للعودة إلى أصوله والتمسك بها، و تؤكد على الإيمان باله واحد ، وبما هي تفرضه من أمور موحدة لأداء مراسم العبادة ،وقد استفادة هذه الجماعة من دعوتها هذه من أثار الإيمان الباقية في أفئدة الناس، ومن الكعبة معبد إبراهيم حيث هي تشكل الأثر الذي تتفق علي تقديسه جميع القبائل، وقد وردت في هذا أخبار ظاهرة الحنفاء في

القرآن الكريم مقترنة باسم النبي إبراهيم ، بسم الله الرحمن الرحيم (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) سورة البقرة الايه 135) وكما وردت غير مقترنة بهذا الاسم (وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين) سورة يونس الايه 105) .

وردت كلمة حنفاء بصيغة الجمع (حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السمآء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) سورة الحج الايه31، إن هذه الآيات تتبنى كما يتبين نبوة إبراهيم، كما تعترف بصحة دعوة الحنفاء، وتثبت توافق مضامينها مع مضامين الدعوة الإسلامية، وإذا كانت هذه الدعوة لم تنجح في جمع شمل العرب وتأليف قلوبهم حول مكة إبراهيم، فليس ذلك بسبب عقم مضامين هذه الدعوة، وإنما لأسباب أخرى أهمها على مقتضى رؤية ابن خلدون عدم توفر القوة التي تذود على الدعوة وتفرض الانصياع لها، يضاف إلى ذلك أن النفوس لم تكن قد تهيأت لتقبل هذه المبادئ، إذ لا بد من التمهيد لعملية بهذا المستوى من الخطورة، لكن المسألة لم تكن في نجاح أو عدم نجاح هذه الدعوة، إنما تكمن في أن هذه الحركة التي كانت تهدف إلى التوحيد، قد واكبت الحركات الأخرى التي كانت تصب في المجرى نفسه، وذلك نحو التوجيه، نحو التغيير يسير في قنوات متعددة ترفد بعضها، والعوامل التي يسير كل منها في قناة معينة هي ضرورية بمجملها لعملية التغيير هذه، وكل عامل بمفرده لا يكفي بذاته لإنجاز هذه العملية بالرغم من أن فاعليته هي ضرورية لتحقيق الغاية المتوخاة. (د مصباح العملي، ابن خلدون وتفوق الفكر العربي على الفكر اليونانى باكتشافه حقائق الفلسفة، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ليبيا، 1988، ص127– 128). [18]

ومن هنا نرى أن للعامل الديني دور كبير في نشوء الحضارات والدولة وبما إن ابن خلدون يعزي نشوء الحضارات إلى العصبية وما تعطيه من اتحاد وتلاحم وتفاعل عناصرها مع عناصر أخرى تذيب سلبياتها كالعامل الديني وقيمته ، وعند دراستك لنظرية ابن خلدون ، تجد أنها تستمد قوتها وقوامها من أطر المجتمع والواقع الذي عاشه وتفاعل معه ، لأن ابن خلدون عاش حياة القبيلة وتجاذبها وأحوالها وتعصبها وتغيرها ، وعاصر نشوء حضارة من العدم ، وكان عامل العصبية له دور أساسي في عصره، في تكوين وبلورة الأطر الاجتماعية، ومما زاد العصبية قوة وسيطرة، العامل الديني الذي كان له الدور الكبير في تهذيب هذه العصبية وتوجيهها إلى الطريق الصحيح وهناك فلاسفة ومفكرين كثر منهم من ايد ابن خلدون في فكره الديني وفلسفته ومنهم من خالفوه هذا الفكر.

توينبي 1889 ميلادي

وعندما ناتي الى فيلسوف ثاني اسمه **توينبي** وتعد نظريته من أهم نظريات فلسفة التاريخ ، وهو مؤرخ معاصر يعيش ويشاهد مشكلاتنا العالمية الأمر الذي جعل آراءه أكثر حيوية وأهمية وإن دراسته ليست قائمة على الاطلاع فقط ، وإنما حرص على أن يكون أكثر قربا من موضوع دراسته بأسفاره ورحلاته ، وهو من حيث دسامة المادة التاريخية لا يكاد يناظره مؤرخ آخر ، وأنه استبعد وانتقد عدة أحكام كادت أن تستقر في فكر مؤرخي الغرب ، فالقول بوحدة الحضارات من أجل أن تعد الحضارة الغربية أعظمها قيمة ، ليس الا وهما راجعان إلى سيادة الحضارة الغربية الحديثة في مجالين الاقتصادي والسياسي (د احمد محمود صبحى ، في فلسفة التاريخ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،1994 ،بيروت ،ص260- 261) . (17)

يبرز لدى توينبي مفهومان أساسيان هما :- " الين " و " اليانج " وهذان المصطلحان هما مفتاح تفسيرنظرية توينبي بشكل عام ، وقد استعارهما توينبي من دراسته المعمقة للحضارات الشرقية منذ ماقبل التاريخ ، حيث يستخدم الصينيون كلمتا "الين واليانج" كمناهج أساسية لتفسير الوجود وحالاته بين حالة السلب وحالة الايجاب سواء في مجال الإنسان أو الطبيعة ، والتحول من الحالة الاولى إلى الحالة الثانية ، أى من السلب إلى الايجاب وهو المبدأ الأول في التفكير التاريخي ، إذ أن مسيرات التاريخ تنشأ بفضل انتقال مجموعة من البشر من السلب إلى الايجاب ، وتنمو الحضارات بفضل هذا الانتقال من التحدي الخارجي إلى الداخلي أي بالاتجاه نحو تقرير المصير . ويرى توينبي من خلال دراسته للحضارات العديدة التي كانت سابقا مثل حضارات الفرس والسريانية والقبطية والرومانية والتركية والعربية وغيرها من الحضارات تقيم هذه الحضارات الدليل على أن الخلق مازال يرتقي في سلم التدرج في المخالفة حتى تنتهي إلى المبادلة بالجملة ، وهنا نلاحظ أن توينبي يلتقي مع ابن خلدون في المبدء الرئيسى لوحدة الدراسة التاريخية ، ويعني هذا المبدأ الحضارة بأسرها كوحدة للدراسة والتحليل الدقيق للتاريخ ، ويذكر توينبي أن المجالات الواضحة للدراسات التاريخية التي وضع الباحثين حدودها تقريبا بأعمال المظاهر الخارجية والاتجاهات العكسية من وجهة نظر وطننا في وقتنا الحاضر هي مجتمعات لها امتداد واسع في المكان والزمان من الدول القومية أو الدول المدينية ، أو أى جماعات سياسية أخرى .(نيفين جمعه علم الدين ، فلسفة التاريخ عند ارنولد توينبي ، 1991 ،

الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، ص23–24) (26) إن الدين بالرغم من أهميته البالغة في حياة أي حضارة إلا أنه لا يستطيع وحده أن يؤسس الحضارات ، فلابد من وجود عامل آخر يوحد الجماعات من الداخل ثم يأتي الدين ليعمق هذا الشعور إذ وراء كل حضارة من الحضارات القائمة اليوم ديانة عالمية ،فالعقائد الدينية هي التى تسير مجرى التاريخ وإذا كان هناك مستقبل لحضارة ما من الحضارات فذلك في حدود هذه الاديان وبسبب منها . (د احمد محمود صبحى ، في فلسفة التاريخ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،1994 ،بيروت ، ص268) (17) وينتقد توينبي المفكرين الذين أسقطوا دور الدين في قيام الحضارة وحملوا الاديان تبعة سقوط الحضارات من أمثال المؤرخ الكبير " جيبون" الذي ألقى مسؤولية إنهيار الحضارة الرومانية على المسيحية واعتبر الاديان سرطانات تلتهم الانسجة الحية للحضارة . فإن توينبي يؤمن إيماناً مطلقاً لاتشوبه شائبة بدور العقائد الدينية في مجريات التاريخ ، وأنه يكمن وراء كل حضارة من الحضارات القائمة في الوقت الحاضر نوع من العقيدة الدينية العالمية . (ترجمة فؤاد محمد شبل ،دراسة للتاريخ لتوينبي ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1994 ، ص25) (27)

ويمكن القول أن العوامل التي تقوم عليها الحضارات لدى توينبي تتداخل وبالتالي فهي تتكامل فيما بينها لتفسير قيام حضارة ما في زمن ما عن طريق التحدي الذي يدفع لوجود استجابة مميزة لدى مجتمع ما أو شعب ما إذ لايمكن اعتبار البيئة هي العامل الإيجابي الذي جلب الحضارات إلى الوجود ، وإن كان بلاريب عاملا عظيماً له خطره في التشكيل الثقافي ، إذ مايزال هناك عامل لايمكن تحديده هوعلى مايظهرسيكولوجي في طبيعته وهو أهم عوامل انبعاث الحضارات أهمية وأشدها ارتباطاً بالقضاء والقدر . (ترجمة فؤاد محمد شبل ، توينبي ، مختصر دراسة التاريخ لتوينبي ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1994 ، ص 16) .(27)

وهنا يلتجئ توينبي إلى استعراض الاساطير الكبرى التي أودعها الجنس البشري حكمته ، كما يلتجئ إلى الاديان . وهنا نستخلص فكرة مدارها إن الإنسان قد حقق الحضارة لا نتيجة لمواهب بيولوجية عليا (أي التفوق العنصري) أو ثمرة بيئة جغرافية ، ولكنه حققها استجابة لتحدي مواقف ذات صعوبة خاصة ، استثار الإنسان لبذل جهد ما ، لم يبذله من قبل . إن النمط الشامل الذي يتحكم في ولادة الحضارة وحياتها ، هو نمط التحدي والاستجابة فالانسان يدفع لكسر حلقة العادة

ويخرج على قوة الاستمرار في الحياة البدائية ، وعندما يواجه صعوبة أو عقبة يتحتم عليه مقابلتها والتغلب عليها. (تشارلز فرنكل، ازمة الانسان الحديث، تحقيق نقولا زيادة وعبدالحميد ياسين، منشورات دار الحياة، بيروت، ص177) (28) فالتحدي الأمثل في رأى توينبي ليس ذلك التحدي الذي يقتصر على استثارة الطرف المتحدي لينجز استجابة بمفردها ، ولكن التحدي الامثل هو مايشتمل على كمية الحركة التى تحمل الطرف المتحدي خطوة أبعد من استجابة ناجحة بمفردها ، تحمله من مرحلة استكمال الاستجابة إلى مرحلة صراع جديد من مشكلة واحدة إلى مواجهة أخرى أي من حالة (الين) إلى حالة (اليانغ) مرة أخرى . (ترجمة فؤاد محمد شبل ، ارنولد توينبي ، مختصر دراسة التاريخ ،الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص313) (27)

ويقول توينبي إن قصة الصدام بين الخير والشر هى حقيقة قائمة، فالألم والعذاب وصور النضال ضد الطبيعة والكون هي قصة مأساة الانسان كما أنها هي نفسها قصة الانسان وقصة فدائه وما لقا آدم وحواء إلا صورة من صور الإبداع الاجتماعي الذي انتهى بمولد حضارتين متباينتين، حضارة الخصب عن طريق راعي الغنم التي يمثلها هابيل، وحضارة خصب الارض التي يمثلها قابيل، هكذا بدأت الاسطورة المعبرة عن أعماق حقائق صراع الانسان مع الطبيعة والكون من أجل خلق مجتمعه وحضارته . (محي الدين اسماعيل، توينبي منهج التاريخ وفلسفة التاريخ، الناشر دار الشؤن الثقافيةالعامة،1986، ص52-53)

المراجع

1 – أ.د. مصطفى النشار ، مدخل جديد الى فلسفة الدين ، ط2 ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 2015 ، ص 17 – 49

2 – حاتم حميد محسن ، افكار افلاطون الاساسية حول الدين ، شبكة النبأ ، 2023/10/22 ، https://m.annabaa.org

3 – محمد مناصير ، شرح فلسفة افلاطون ، مجلة علم الفلسفة ، 2023/10/22 ، https://alfalsafah.com

4 – افلاطون ، جمهورية افلاطون ، ترجمة حنا خباز ، الناشر دار المقطم للنشر والتوزيع ، ص 533

5 – بشرى زكاغ ، فكرة الاله عند ارسطو وامتدادها في الثقافة الغربية ، مؤمنون بلا حدود ، 2023/10/21 ، www.mominoun.com

6 – امام عبدالفتاح امام ، ارسطوا والمراة ، سلسلة الفيلسوف والمراة ، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع ، ط1 ، مصر 1996 ، ص 29

7 – ماجد فخري ،ارسطو المعلم الاول ، سلسلة قادة الفكر ، المطبعة الكاثوليكية – بيروت ، ص94

8 – ابن رشد ، تلخيص كتاب الجدل ، ترجمة د تشارلس بتروث ، د احمد عبد المجيد هريدي ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط1 ، 1979 ، ص2

9 – الشيخ كامل محمد محمد عويضه ، افلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1 ، 1993 ، ص5

10 – د حسين علي ، الفكر الديني عند اليونان ، مجلة البوابة ، اراء حرة ، 2023/10/15 ، www.albawabhnews.com

11 – محمد لطفي جمعة ، تاريخ فلاسفة الاسلام ، الفصل الثاني الفرابي ، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهره ، ص34 ، 2023/10/21 ، www.hindawi.org

12 – القاضي ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد ، كتاب فصل المقال وتقرير مابين الشريعة والحكمة من الاتصال ، قدم له وعلق عليه الدكتور البير نصري نادر ، ط2 ، دار المشرق المطبعة الكاثوليكية – بيروت لبنان ، ص24 – 25 – 26

13 – محمود حمدي زقزوق ، الدين وفلسفة التنوير ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، ص49

14 – حسن عبدالرحمن علقم ، الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد البطليوسي ، دارالبشير للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 1988 ، ص184 – 185 – 186

15 – نظمي لوقا، الحقيقة عند فلاسفة المسلمين، دار غريب للطباعة والنشر، طا ، 1985 ، ص 185

16 – عبدالحسين شعبان ، عن الفلسفة والدين ، صحيفة الخليج ، 2023/10/21 ، www.alkhaleej.ae

17 – د احمد محمد صبحي، في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، ص– 133–134

18 – د مصباح العملي ، ابن خلدون وتفوق الفكر العربي على الفكر اليوناني باكتشافة حقائق الفلسفة ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ليبيا، 1988 ، ص125–126 –127

19 – د عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1983 ، ص159

20 – د حسين مروة ،النزعات المادية في الفلسفه العربية الاسلاميه ، ج1 ، دار الفارابي ، بيروت ،1981 ، ص117

21 – عبدالرحمن بدوي ، مؤلفات ابن خلدون ، دار المعارف بمصر ، 1962 ، ص23

22 – ابن خلدون ، المقدمة ،منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات

23 – محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي ، دار الطليعة ،ط3، 1982

24 – د اسحاق عبيد ، معرفة الماضى من هيرودوت الى توينبي ، دار المعارف ،ط1 ، ص98

25 – عبده الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية واثار رجالها، دار صادر للنشر والتوزيع ، بيروت

26 – نيفين جمعه علم الدين، فلسفة التاريخ عند ارنولد توينبي، 1991، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1

27 – ترجمة فؤاد محمد شبل، ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب

28 – تشارلز فرنكل، ازمة الانسان الحديث، تحقيق نقولا زيادة وعبدالحميد ياسين، منشورات دار الحياة، بيروت

29 – محي الدين اسماعيل، توينبي منهج التاريخ وفلسفة التاريخ، الناشر دار الشؤن الثقافية العامة، 1986